العلوم

٥ — فى البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين

مدرس بجامعة برمنجهام

لهذه البحوث جانب علمى وجانب دينى . أما الجانب الدينى فقتله بحثا جهابذة من المصريين ، وأما الجانب العلمى فأمنية هذا القلم الضعيف أن يبسط ماتم منه ، ويتتبع عن كثب مايستجد فيه ، ومن وراء هذا القلم نفس تتمنى لو أن بمصر معهدا لهذه البحوث ، فلعل الأمنى تحققها الأيام .

والبحوث الروحية أيضا جانب تاريخى ، اذ الظواهر الروحية لم يخل منها عصر من العصور ، عرفها سقراط ، واندفعت بتأثيرها جان دارك ، ومارسها الكهنة والسحرة . دع جانبا وحى الأنبياء ومعجزاتهم ، وكرامات الأولياء ، وما أدى ويؤدى اليه التصوف . ليست الظواهر الروحية بمكتشف جديد ، وإنما الجديد هو أن يفلحها العلم الحديث بمحراثه التجريبى البطىء الأكيد .

هل الحياة بعد الموت إحدى الحقائق الكونية ، أم كل مايقال عنها توهم وإيهام ؟ واذا كانت تلك الحياة حقيقة واقعة فما القوانين الطبيعية التى تربطها بهذه الحياة ؟ وما العلاقة بين الجسم المادى الذى نعيش به هنا والجسم الروحى الذى نعيش به بعد الممات ؟ وكيف ينشأ ويتسلخ هذا من ذاك ؟ سيخيل الى القارىء أن المبحث عبث ، والمطلب مستحيل ، ولكن عددا من رجال العلم قد أوغلوا فى هذا السبيل ، ووصلوا الى نتائج خاسمة ، ونبشوا فى صخرة الموت الصماء ثغرة يضع أنفه فيها كل يوم باحث جديد ، وقد تتسع يوما ما لكل الأنوف .

الجسم البشرى يتألف من كهارب سالبة وموجبة ، والتمثال الحجرى يتألف من نفس تلك الكهارب . ولكن الجسم البشرى يحس ويتصور ويتذكر ويفكر ويريد . فما السر فى أن كهارب الجسم البشرى حية عاقلة ، وكهارب التمثال ميتة خاملة ؟

هناك رأيان أحدهما أن ظواهر الحياة فى الجسم الحى ليست سوى نتائج طبيعية لترتيب كهاربه على نسق خاص ، أو هى ، بصيغة أخرى ، نتائج آلية لتركيبه الكيميائى . ذلك أن المادة بمفردها تكون ذات خواص معينة ، فاذا اتحدت بمادة أخرى نتج مركب تختلف خواصه عن خواص المادتين اختلافا بينا . فالايدروجين مثلا غاز خفيف ، تصعب إسالته ، والاكسجين غاز يتوهج فيه القبس المتقد ، ولكن اذ اتحد الاكسجين بالايدروجين نتج الماء ، وشتان بين خواص الماء وخواص كل من الايدروجين والاكسجين . وخذ مثالا آخر : الكلور غاز يعافه الانف، متلف ، مهلك ، سم زعاف ، والصوديوم فلز نشيط قوى الفعل ، لو وضع الانسان حبة منه فى فمه لنسفت حلقه نسفا ، ولكن اذا اتحد الكلور بالصوديوم نتج جسم لطيف ، يصلح المعدة ، والدم ، هو الملح الذى به نأتدم ، وبدونه لا نستمرىء الطعام . فأصغر تعقيد كيميائى فى تركيب المواد يحدث أكبر تغيير فى خواصه ، فلعل كل ظواهر الحياة ، على غرابتها ، ليست سوى خواص طبيعية وكيميائية للمركب المعقد المسمى بالبروتوبلاسم

هذا رأى الكثرة من علماء البيولوجيا . وأصحاب هذا الرأى لايرون البعث من الممكنات ، وعندهم أن الرجل اذا مات ، وتفككت ذرات جسمه ، فصعد بعضها فى الجو هيئة غاز ، ورسب الباقى فى التربة بشكل ملح ، وشتتت الريح الغازى القارات الخمس ، وأسلمت التربة الملح الى جذور النبات ، فقد عاد الرجل كأن لم يكن ، وبعثه من جديد رجع بعيد ، وليس له من روح الا بقدر مايكون للملح روح بعد تحليله الى الكلور والصوديوم .

ومن زعماء هذا الرأى سر آرثر كيث ، أستاذ البيولوجيا وعضو المجمع العلمى البريطانى ، فهو يقول : —

(.... اذا كنا نخلد فى أبنائنا وذرارينا ... قبل

أن نتساءل عن كنه الحياة وإمكان استمرارها بعد الممات ، يحسن أن نقول ما هو الموت . اذا وجد الطبيب قلب مريضه سكت ، ولم يبق لتنفسه مد وجزر ، قرر أن الموت حل بساحته . ولكن ليس هذا بصحيح ، اذ لو هيأ الطبيب فى الحال جهازاً يدفع دما طازجا مشبعا بالأكسجين فى الأوعية الدموية لمخ الميت ، لاستعاد هذا وعيه وذاكرته ، وقدر على التفكير ، ونطق با لكلام ، وبقى كذلك مابقى فى عروق مخه دم صبيح . فاذا أوقف الدم عشر دقائق دخلت خلايا المخ فى موت لاحياة بعده ، ولكن خلايا القلب تظل حية ، بحيث لو اقتطع وأحيط بوسائل خاصة عاد يدق كما كان يفعل بين ضلوع صاحبه ، أما خلايا الشرايين فتعيش بعد الوفاة أربعين ساعة . الموت لايحدث دفعة واحدة بل بالتدريج ، وخلايا الجسم تموت فرادى كما يموت السكان فى قرية جائعة ـ الضعيف يموت أولا والقوى يعيش بعده الى حين . لو كان الموت كما يقول سر أليفرلدج هو خروج روح من الجسم لحدث دفعة لا بالتدريج .... لايستطيع البيولوجى أن يسلم بوجود روح للانسان أو للحيوان ، وعنده أن الروح والجسم شىء واحد لايتجزأ .)

هذا رأى فى تعليل ظواهر الحياة . أما الرأى الآخر فزعيمه سر أليفرلدج ، ومجمله أن كل حيوان ، ابتداء من الاميبا (حيوان آحادى الخلية بدأ يتميز من الجماد بالشعور والارادة) يتألف من كيان مادى وكيان اثيرى ، وينفرد الثانى إذا ما تحطم الاول ، وتستمر الحياة بعد ذلك بهيئة لاندركها حواسنا الخمس .

هذان رأيان نقيضان فأيهما الصحيح ؟ العلم الحديث لايقف عند حد الأدلة بالآراء ، بل سر قوته ونجاحه هو اختبار الآراء بالتجارب العملية ، فهو لايقيم وزنا لآراء تأبى الامتحان العملى ، ولو فعل لتصدعت الرءوس بآلاف الآراء الجامحة . فقبل أن يصبح الرأى حقيقة علمية يجب أن تحققه التجارب العملية .

نظرة فى مذهبى الرأيين

الرأى الأول (رأى العدميين) لاسبيل إلى إثباته عمليا إلا بصنع خلية حية من مواد كيماوية عادية وهذا لم يحدث بعد . نعم . نسمع فى الحين بعد الحين أن كيميائيا أحدثه ، ولكن الخبر يذاع اليوم ويموت غدا ، فهو مبالغة أو اختلاق . أما الرأى الثانى فتوجد اليوم ظواهر تؤيده ، نذكر هنا مثالا منها :

مستر (فرانك لى) وسيط يعمل بجمعية للبحث الروحى بلندن ، وله خاصة الكشف البصرى ، فهو يرى الأرواح كالأشباح . ولكنه يزيد عن أمثاله من الوسطاء بأنه رسام ماهر ، فعند ما يرى الروح ويصفها ، يتناول القلم والورق ويرسمها . وللتحقق من صدقه يفاجئه الباحثون كل يوم بأشخاص ليست لديهم معرفة . ولكنه برغم ذلك يرسم صوراً صحيحة لأرواح أقربائهم . ويجد القارىء هنا رسمين لروحين من عمل مستر (لى) ، وبجانب كل رسم صورة عادية من صور المتوفى أيام حياته . ويلاحظ أن الشبه متوفر بين الأصل ورسم الوسيط .

(فى الحياة)

(بعد الممات)

كيف يمكن أن يرى الروح انسان كائناً من كان ؟ ليس الأمر من الغرابة كما يبدو . نحن نرى من الأشعة ما يقع بين الأحمر والبنفسجى . ولكن هل هذه هى كل ما فى الكون من أشعة ؟ لا . لقد كشف العلم عن سلسلة طويلة من موجات أطول من الحمراء ، وسلسلة أخرى أقصر من البنفسجية — أشعة يعج بها الفضاء من حولنا ولا نراهـا . ويمكنك أن تدخل حجرة حالكة الظلمة ، وتملأ فضاءها بتلك الاشعة ، ومع ذلك لا تميز عينيك غير الظلمة الحالكة .

يفترض سر أليفر لدج أن الروح بعد الموت تعيش فى جسم أثيرى . فلعل هذا الجسم الأثيرى يشع من الموجات مالا يؤثر فى العصب البصرى لشخص العادى ، ولكنه يؤثر فى عصب شخص شاذ هو الوسيط .

لعل العالم المرئى لنا هو واحد من عوالم كثيرة تحف بنا من كل جانب ويتناوبنا حجاب رقيق ؟

(فى الحياة)

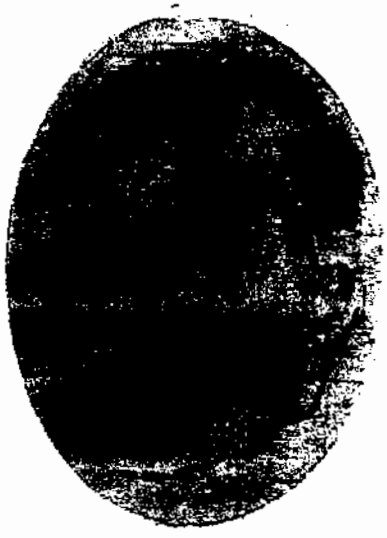

(بعد الموت)

ظهر حديثا

أبو على عامل أرتست

مجموعة من القصص المصرية العصرية

للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً

بول فرلين

بقيـــة المنشور على صفحة ٥٨٥

إلاهى ! إلاهى ! إن الحياة — هنالك — يحفها الهدوء والسكينة ،
وهذه النأمة الخفيفة — هى أصوات المدينة ،
يا أيها الساكن — هنالك — تبكى البكاء الطويل !
قل : ماذا تصنع أنت بشبابك الجميل

— ٥ —

جرين GREEN

اليك هذه الثمار ، وهذه الازهار !
اليك هذه الأوراق ، وهذه الاغصان !
اليك قلبى ، الذى لا يخفق الا من أجلك ،
لا تمزقه بائقة يداك الناعمتان البضتان
ولتقبل هديتى الوضيعة عيناك الجميلتان !
وصلت اليك ! وعلى جبينى تألق قطرات الندى
التى جمدتها ريح الصباح
تأملى لى ! فان شقائى الذى يسكن تحت قدميك ،
يحلم بتلك الثوانى العزيزة التى ستزمع الرواح .
دعى رأسى على صدرك الساطع ،
ترن فيه أصداء قبلاتك الاخيرة
دعيه يسترح من العاصفة الثائرة
وذرينى يطبق جفنى الكرى حيث أنت تهجعين . . .

— ٦ —

كآبة

تهوى الكآبة على قلبى كما يهوى على المدينة ماء السماء !
فما عسى تكون هذه الكآبة التى غمرت قلبى ! وما هذا الشقاء ؟
آه ! ان وقع المطر على الأرض والسقوف يهيج الفؤاد
الذى اعتاده سأم . . آه يا أغنية الشتاء !
تهبط الكآبة والشقاء القاتم ، بدون سبب على هذا القلب الساهم .
فعلى اى عهد ضائع اكتئب ؟
ألا إن هذا الحداد بغير سبب .
ألا إن هذا هو العذاب الاكبر !
يكتئب فؤادى
ويتتابه الأسى ، دون أن يعتاده حب او يهيجه بغض
وهو لا يعلم — بعد ذلك — لحزنه سببا !

دير الزور — خليل هنداوى